Al-imad Journal of Humanities and Applied Sciences (AJHAS)
مجلة العماد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
ISSN: 3106-0323
Volume 1 – Issue 2 – 2025
Pages 158-170

Trade Relations between the Almoravid State and the Kingdoms of Western Sudan (448-541 AH / 1056-1147 CE)

Salem Juma Ighreibel Ahmed *
Department of History, Faculty of Education, Bani Waleed University, Libya
*Corresponding author: salemahmed@bwu.edu.ly

العلاقات التجارية بين دولة المرابطين وممالك السودان الغربي (448-541هـ / 1056-1147م

سالم جمعة إغريبيل أحمد *
قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة بني وليد، ليبيا

Received: 13-11-2025; Accepted: 25-12-2025; Published: 31-12-2025

Abstract:
This research investigates the historical development and multifaceted dimensions of trade relations between the Almoravid State (448–541 AH / 1056–1147 CE) and the kingdoms of Western Sudan, specifically focusing on the Kingdom of Ghana as a primary model. The study aims to highlight the pivotal role of trans-Saharan trade routes in connecting the Maghreb with sub-Saharan urban centers such as Awdaghost and Timbuktu. Methodologically, the paper relies on an analytical historical approach, utilizing classical Arabic geographical and historical sources like al-Bakri, al-Idrisi, and Ibn Khaldun, alongside modern academic scholarship. The findings demonstrate that the trade in gold, salt, and slaves constituted the economic backbone of these relations. Gold from the "Bambouk" and "Boure" mines was essential for minting the Almoravid dinar, which stabilized their economy and funded military campaigns. Conversely, the Almoravids supplied Western Sudan with salt from Taghaza, textiles, and metal goods. Beyond material exchange, these routes served as conduits for cultural and religious dissemination, facilitating the spread of Islam, the Arabic language, and the Maliki school of jurisprudence in the region. Despite facing severe natural obstacles such as the harsh Saharan climate and security threats from bandits, the Almoravids established a sophisticated organizational system involving desert tribe intermediaries and military protection for caravans. Ultimately, the research concludes that these trade ties were not merely economic transactions but a foundational element in shaping the civilizational identity of both the Islamic West and Western Sudan during the medieval era.

Keywords: Almoravids, Western Sudan, Trans-Saharan trade, Gold, Ghana, Maliki jurisprudence.

الملخص
يتناول هذا البحث دراسة التطور التاريخي والأبعاد متعددة الجوانب للعلاقات التجارية بين دولة المرابطين (448-541هـ / 1056-1147م) وممالك السودان الغربي، مع التركيز بشكل خاص على مملكة غانة كنموذج رئيسي .تهدف الدراسة إلى إبراز الدور المحوري لطرق التجارة العابرة للصحراء في ربط المغرب الأقصى بالحواضر الواقعة جنوب الصحراء مثل أودغست وتمبكتو .يعتمد البحث منهجاً تاريخياً تحليلياً، مستفيداً من المصادر الجغرافية والتاريخية العربية الكلاسيكية مثل البكري والإدريسي وابن خلدون، إلى جانب الدراسات الأكاديمية الحديثة .وتوصلت النتائج إلى أن تجارة الذهب والملح والرقيق شكلت العمود

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الفقري الاقتصادي لهذه العلاقات .حيث كان الذهب المستخرج من مناجم "بامبوك" و"بوري" ضرورياً لسك الدينار المرابطي، مما ساهم في استقرار اقتصادهم وتمويل حملاتهم العسكرية .في المقابل، زود المرابطون السودان الغربي بالملح من "تغازة"، والمنسوجات، والسلع المعدنية .وإلى جانب التبادل المادي، عملت هذه الطرق كقنوات للنشر الثقافي والديني، مما سهل انتشار الإسلام، واللغة العربية، والفقه المالي في المنطقة .وبالرغم من مواجهة عقبات طبيعية شديدة مثل قسوة المناخ الصحراوي وتهديدات أمنية من قطاع الطرق، أقام المرابطون نظاماً تنظيمياً متطوراً شمل وسطاء من القبائل الصحراوية وتوفير حماية عسكرية للقوافل .وفي الختام، يخلص البحث إلى أن هذه الروابط التجارية لم تكن مجرد معاملات اقتصادية، بل كانت عنصراً تأسيسياً في صياغة الهوية الحضارية لكل من الغرب الإسلامي والسودان الغربي خلال العصور الوسطى.

الكلمات المفتاحية: المرابطون، السودان الغربي، التجارة الصحراوية، الذهب، غانة، الفقه المالكي.

المقدمة

تمثل منطقة الغرب الإفريقي، وبخاصة العلاقة الجدلية بين المغرب والأندلس وممالك السودان الغربي، واحدة من أكثر الصفحات التاريخية ثراءً وتعقيداً في العصور الوسطى الإسلامية. فلم تكن الصحراء الكبرى يوماً عائقاً حال دون تواصل الشعوب، بل تحولت بفضل عبقرية الإنسان وتنظيمه السياسي إلى جسر يربط بين حضارات متباينة بيئياً وثقافياً. وفي هذا السياق، تبرز دولة المرابطين (448–541هـ/1056–1147م) كقوة سياسية ودينية كبرى استطاعت، لأول مرة في تاريخ المنطقة، توحيد المجال الجغرافي الممتد من ضفاف نهر السنغال جنوباً إلى حدود جبال البرانس شمالاً (ابن خلدون، 2000). هذا التوسع لم يكن مجرد فتح عسكري، بل كان إيذاناً بتدشين مرحلة متميزة من التفاعل التجاري المنظم، الذي انعكست آثاره العميقة على كافة مناحي التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي للطرفين.

إن الجغرافيا، بما تفرضه من حتميات وما تتيحه من إمكانيات، لعبت الدور المحوري في تشكيل هذه العلاقة. فالسودان الغربي، بثرائه الأسطوري بمناجم الذهب في مناطق "بامبوك" و"بوري"، كان في حاجة ماسة لسلع استراتيجية تفتقر إليها بيئته المدارية، وعلى رأسها الملح الصخري القادم من أعماق الصحراء، إضافة إلى المنسوجات والمصنوعات المعدنية والسلع الفاخرة التي جلبها تجار الشمال (الإدريسي، 2002). ومن هنا، برزت الطرق التجارية العابرة للصحراء كشرايين حياة ربطت المراكز الحضارية في المغرب الأقصى بحواضر السودان الغربي الصاعدة مثل غانة وتمبكتو وأودغست. هذه المسالك لم تكن مجرد ممرات للقوافل، بل كانت قنوات لتعزيز شبكات التبادل الاقتصادي الإقليمي والدولي، حيث ساهمت في ربط اقتصاديات إفريقيا جنوب الصحراء بالدورة الاقتصادية العالمية عبر حوض البحر المتوسط (البكري، 1992).

ولم تكن التجارة في فكر الدولة المرابطية مجرد نشاط ربحي لجمع الثروات، بل شكّلت أحد أبرز روافد قوتها السياسية وأدوات هيمنتها وبسط نفوذها. فقد أدرك قادة المرابطين، منذ البدايات الأولى للحركة، أن السيطرة على "مخارج الذهب" هي المفتاح الحقيقي لاستقرار الدولة وتأمين تمويل جيوشها المرابطة في الأندلس (الدوري، 2008). وبذلك، أصبحت التجارة أداة سياسية بامتياز؛ فمن خلال السيطرة على القوافل وتنظيمها وتوفير الحماية العسكرية لها، استطاع المرابطون فرض هيبتهم على القبائل الصحراوية العاتية، وتأمين مورد مالي ضخم مكنهم من سك "الدينار المرابطي" الذي أصبح العملة الصعبة الأولى في عصره، والمقبولة عالمياً من قرطبة إلى القسطنطينية (حجي، 1982).

في المقابل، لم تكن ممالك السودان الغربي –وفي مقدمتها مملكة غانة القوية– مجرد طرف مستهلك، بل وجدت في هذه العلاقات التجارية سبيلاً استراتيجياً لتصريف منتجاتها، وخصوصاً الذهب الذي كان عصب الاقتصاد الإقليمي ومحرك التبادل. لقد خلق هذا التفاعل نوعاً من "الاعتماد المتبادل"؛ فالسودان الغربي الذي يمتلك الذهب كان يحتاجه لتثبيت أركان ملكه، لكنه لم يكن يستغني عن الملح المغربي الذي كان يباع أحياناً بوزن الذهب نظراً لضرورته الحيوية للحياة (Levtzion, 1973). هذا التكامل الاقتصادي أفرز طبقة تجارية واسعة من الوسطاء والقبائل، الذين أصبحوا هم أنفسهم رسل حضارة ووسطاء ثقافيين بين ضفتي الصحراء (Davidson, 1991).

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

وعلى الصعيد الحضاري، كانت هذه العلاقات التجارية هي الوسيلة الأكثر فعالية للتقارب الثقافي ونشر القيم الدينية. فمع كل قافلة محملة بالبضائع، كانت تنتقل الأفكار والعقائد. وبفضل هؤلاء التجار، تغلغل الإسلام برفق في ثنايا المجتمعات الإفريقية، ليس عبر السيف فحسب، بل عبر القدوة والمعاملة الحسنة في الأسواق (Hunwick, 2003). وقد أدى هذا التفاعل إلى انتشار اللغة العربية كلغة للعلم والتجارة والإدارة في السودان الغربي، وبرزت مراكز علمية كبرى بدأت تضاهي مراكز المغرب والأندلس، مما مهد لظهور نخبة من الفقهاء والعلماء السودانيين الذين تشبعوا بالفقه المالكي، وهو المذهب الذي وحّد ضفتي الصحراء فكرياً وقانونياً (Hopkins, 2000 & Levtzion).

إن البحث في تاريخ العلاقات التجارية بين المرابطين والسودان الغربي هو بحث في جذور الهوية الحضارية المشتركة. فالعلاقة لم تكن عابرة، بل كانت تأسيساً لمنظومة جيوسياسية واقتصادية متكاملة. ورغم التحديات الجسيمة، من قسوة المناخ وتقلبات السياسة وأخطار المسالك (Fage, 1969)، إلا أن الإرادة السياسية والمصالح المشتركة كانت أقوى من عوائق الطبيعة. ومن هنا، تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على هذه المرحلة التاريخية المفصلية، محاولةً تحليل آليات هذا التبادل، واستكشاف أثره في بناء الدول، وفهم كيف استطاع الاقتصاد أن يمهد الطريق للسياسة، وكيف صاغا معاً تاريخ إقليم بأكمله (Curtin, 1984).

بناءً على ما تقدم، يسعى هذا البحث إلى تقديم رؤية نقدية تحليلية تتجاوز السرد التقليدي، لترصد ملامح "العولمة الإسلامية المبكرة" عبر الصحراء، وكيف ساهمت دولة المرابطين في تحويل هذه المنطقة من أطراف منعزلة إلى قلب نابض بالحركة والنشاط الحضاري العالمي، مع التركيز على دور التجارة كمحرك رئيس للتحولات البنيوية في مجتمعات الغرب الإفريقي.

إشكالية البحث

تنبثق إشكالية هذا البحث من حقيقة أن الصحراء الكبرى، رغم قسوتها الجغرافية، لم تكن عائقاً بل كانت مجالاً حيوياً للربط بين ضفتين متباينتين. وتكمن المشكلة في محاولة فهم الآليات التي مكنت دولة المرابطين -كقوة ناشئة بذريعة دينية- من السيطرة على هذا الفضاء الشاسع وتحويله إلى شبكة اقتصادية معقدة. وبناءً على ذلك، تتمثل الإشكالية الرئيسة في التساؤل المحوري التالي:

كيف تطورت العلاقات التجارية بين دولة المرابطين وممالك السودان الغربي، وما هي الانعكاسات البنيوية لهذا التبادل على المستويات الاقتصادية والسياسية والحضارية لكلا الطرفين؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما هي الدوافع الجيوسياسية والدينية التي جعلت المرابطين يولون أهمية قصوى للسيطرة على طرق القوافل؟
2. كيف استطاع النظام النقدي المرابطي (الدينار) أن يربط اقتصاد السودان الغربي بالمنظومة المالية العالمية في العصور الوسطى؟
3. إلى أي مدى ساهمت هذه العلاقات في صياغة هوية إسلامية مشتركة في الغرب الإفريقي؟
4. ما هي طبيعة التحديات الأمنية والسياسية التي هددت استمرارية هذا التواصل وكيف تمت معالجتها مؤسسياً؟

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية، أبرزها:

1. **التحليل السببي:** استقصاء العوامل الجغرافية، والسياسية، والعقائدية التي حفزت نشوء وتطور العلاقات التجارية بين المرابطين وحواضر السودان الغربي.
2. **التصنيف السلعي:** تقديم دراسة دقيقة لأنماط السلع المتبادلة، مع التركيز على "ثنائية الذهب والملح" كقوة محركة للاقتصاد الإقليمي.
3. **التفكيك المؤسسي:** تحليل الأطر التنظيمية والتشريعية (خاصة الفقه المالي) التي ضبطت حركة الأسواق ودور الوسطاء والقبائل الصحراوية.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

4. **التقييم الحضاري:** الكشف عن الأبعاد غير المادية للتجارة، والمتمثلة في انتقال الأفكار، واللغة العربية، والمذاهب الفقهية، وأثر ذلك في بناء الدولة والمجتمع في السودان الغربي.
5. **رصد المعوقات:** تقييم التحديات الطبيعية والأمنية والسياسية الدولية التي واجهت هذا النشاط، وكيفية تكيّف الأنظمة التجارية معها.

أهمية البحث

تستمد هذه الدراسة أهميتها من عدة جوانب:

1. **الأهمية العلمية:** يساهم البحث في سد ثغرة معرفية في المكتبة التاريخية العربية حول التفاعلات العميقة بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء، متجاوزاً السرد الوصفي إلى التحليل السوسيواقتصادي.
2. **الأهمية الوظيفية:** يبرز البحث دور التجارة كـ "قوة ناعمة" وأداة فعالة للانتشار الثقافي والديني، مما يصحح المفهوم القائل بأن الإسلام انتشر في تلك المناطق عبر السيف فقط.
3. **الأهمية المنهجية:** يقدم قراءة نقدية ومقارنة لمصادر التراث الإسلامي (الجغرافيين والرحالة) ومطابقتها مع ما وصلت إليه الدراسات الأكاديمية والأنثروبولوجية الحديثة، مما يمنح البحث صبغة "تعددية التخصصات".

منهجية البحث

لتحقيق أهداف البحث والإجابة على إشكاليته، اعتُمد المنهج التاريخي التحليلي والمقارن، وذلك من خلال:

1. **الاستقراء المصدري:** تتبع المادة التاريخية الخام في أمهات المصادر العربية الكلاسيكية، لا سيما كتابات البكري (المسالك والممالك)، والإدريسي (نزهة المشتاق)، وابن خلدون (العبر)، لاستخراج المعطيات المتعلقة بالطرق والأسواق والسلع.
2. **التحليل النقدي:** إخضاع هذه الروايات للتحليل والمقارنة للكشف عن المبالغات أو الفجوات التاريخية، وربطها بالسياق العام للدولة المرابطية.
3. **المنهج المقارن:** الاستفادة من الدراسات الحديثة (العربية والأجنبية) التي وظفت علوم الآثار (الاركيولوجيا) والاقتصاد المقارن، لتفسير الظواهر التجارية والمالية (مثل عيار الذهب ونقاوته).
4. **الربط الاستشرافي:** استخدام أدوات التحليل السياسي لربط المنجز التاريخي بالواقع المعاصر للمنطقة، مما يعطي للبحث طابعاً حيوياً يتجاوز مجرد سرد الماضي.

الفصل الأول: الإطار التاريخي والجغرافي للعلاقات التجارية

أولاً: البيئة الطبيعية للسودان الغربي وأثرها في النشاط التجاري

تميز إقليم السودان الغربي بخصائص جغرافية متباينة، فهو يمتد جنوب الصحراء الكبرى وصولاً إلى الغابات الاستوائية، مما منحه تنوعاً في الموارد الطبيعية والأنشطة الاقتصادية. فقد اشتهرت المنطقة بغناها بالذهب، خاصة في مناجم "بامبوك" و"بوري"، كما توفرت فيها موارد أخرى مثل العاج والجلود والحديد. في المقابل، كانت تعاني من نقص في بعض السلع الحيوية كالملح الذي كان يأتيها من الصحراء الكبرى، خصوصاً من مناجم "تغازة" شمالاً (الإدريسي، 2002).

هذا التباين الجغرافي والاقتصادي أسس لحركة تجارية نشطة بين الشمال والجنوب، إذ مثلت الصحراء الكبرى حاجزاً طبيعياً من جهة، ولكنها تحولت –بفضل تطور وسائل النقل وطرق القوافل– إلى جسر للتبادل التجاري والثقافي (البكري، 1992).

ثانياً: نشأة دولة المرابطين وظروفها السياسية

تأسست دولة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على يد عبد الله بن ياسين الذي تمكن من توحيد قبائل صنهاجة تحت راية الإصلاح الديني والجهاد. ومع توسع الدولة في المغرب الأقصى وبلوغها الأندلس، أصبحت تسيطر على طرق تجارية استراتيجية تمر عبر الصحراء (ابن خلدون، 2000).

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

لقد أدرك المرابطون أهمية التجارة عبر الصحراء في تمويل دولتهم، خصوصاً مع اعتمادهم على الذهب القادم من السودان الغربي لسك عملتهم وتمويل حروبهم في الأندلس؛ ولذلك أولوا اهتماماً خاصاً بحماية طرق القوافل وتنظيم الضرائب المفروضة عليها (الدوري، 2008).

ثالثاً: الطرق التجارية الكبرى بين المغرب والسودان

ارتبط المغرب الأقصى بممالك السودان الغربي عبر ثلاث طرق تجارية رئيسة:

1. طريق سجلماسة – أودغست – غانة: وهو أقدم الطرق وأكثرها أهمية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حيث لعبت مدينة سجلماسة دور الوسيط التجاري الرئيس في تصدير السلع المغربية واستيراد الذهب السوداني (البكري، 1992).
2. طريق فاس – وادي درعة – تمبكتو: ارتبط بازدهار مدينة تمبكتو التي أصبحت لاحقاً مركزاً علمياً وتجارياً مهماً.
3. طريق مراكش – شنقيط – حواضر السودان: ظهر مع توسع النفوذ المرابطي جنوباً، وكان أكثر أمناً بفضل السيطرة العسكرية المرابطية (حجي، 1982).

لقد لعبت هذه الطرق دوراً محورياً في انتقال السلع والأفكار والديانات، وأسهمت في تكوين شبكة تواصل حضاري متكاملة بين شمال إفريقيا وجنوب الصحراء.

رابعاً: العوامل السياسية المؤثرة في ازدهار التجارة

يمكن تحديد أهم العوامل السياسية التي أسهمت في تطور العلاقات التجارية بين المرابطين والسودان الغربي فيما يلي:

1. توحيد القبائل الصحراوية: تمكن المرابطون من إخضاع قبائل صنهاجة التي كانت تسيطر على طرق القوافل، مما وفر الأمن للتجارة (ابن خلدون، 2000).
2. توسع النفوذ المرابطي: أدى ضم سجلماسة وأودغست إلى تأمين المراكز التجارية الكبرى.
3. استقرار ممالك السودان الغربي: خصوصاً مملكة غانة التي عُرفت بنظامها الإداري القوي وقدرتها على حماية مناجم الذهب (Levtzion, 1973).
4. الدعم العسكري: استخدم المرابطون جيوشهم لحماية القوافل من هجمات اللصوص والقبائل المتمردة.

خامساً: مراكز الأسواق التجارية

كانت الأسواق التجارية بمثابة المحطات الرئيسة لتبادل السلع بين المغرب والسودان، ومن أبرزها:

سجلماسة: مركز تصدير السلع المغربية (الملح، النحاس، المنسوجات).

أودغست: محطة تجميع للذهب والعبيد المتجهين شمالاً.

غانة: عاصمة مملكة غانة وأكبر مراكز الذهب في ذلك العصر (Davidson, 1991).

هذه الأسواق لم تكن مجرد فضاءات للتبادل الاقتصادي، بل كانت أيضاً مراكز لتلاقي الثقافات وانتشار الإسلام.

لقد شكلت الخصائص الجغرافية للسودان الغربي، إلى جانب الظروف السياسية للمرابطين، أساساً قوياً لازدهار العلاقات التجارية عبر الصحراء. كما أن الطرق التجارية ومراكز الأسواق الكبرى أسهمت في خلق شبكة اقتصادية – حضارية ربطت بين ضفتي الصحراء، مما مهد لاحقاً للتأثيرات الثقافية والدينية التي سيأتي تفصيلها في الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني: طبيعة السلع والبضائع المتبادلة

أولاً: صادرات السودان الغربي

لقد كان إقليم السودان الغربي غنياً بالموارد الطبيعية التي جعلت منه مقصداً للتجار من الشمال منذ العصور المبكرة.

1. الذهب: يُعد الذهب السلعة الأكثر أهمية التي جذبت المرابطين إلى السودان الغربي، إذ شكل عصب التبادل التجاري. وكانت مناجم "بامبوك" و"بوري" المصدر الرئيس للذهب، فيما لعبت مملكة غانة دور الوسيط في تصديره إلى الشمال (ابن خلدون، 2000). وقد استخدم المرابطون هذا الذهب

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

في سك عملتهم الذهبية (الدينار المرابطي) التي لاقت رواجاً واسعاً في المغرب والأندلس (الدوري، 2008).

2. الرقيق: كان الرق من السلع الأساسية التي صدّرها السودان الغربي، حيث استُخدم العبيد في الزراعة والخدمة العسكرية. وقد لعبت هذه التجارة دوراً كبيراً في توفير اليد العاملة للمغرب والأندلس، وأسهمت أيضاً في ازدهار النشاط الاقتصادي المرابطي (Fisher, 2001).
3. العاج والجلود: تُعد هذه المواد من منتجات الغابات الاستوائية، وقد استخدمت في الصناعات المحلية وفي التصدير إلى الشمال.
4. المحاصيل الزراعية: مثل الذرة والدخن، وهي وإن لم تكن سلعة رئيسة في التجارة العابرة للصحراء، إلا أنها ساعدت في دعم الأسواق المحلية.

ثانياً: صادرات المغرب والأندلس

في مقابل صادرات السودان الغربي، قدّم المرابطون للممالك السودانية مجموعة من السلع الحيوية:

1. الملح: يُعتبر الملح من أهم السلع التي احتاجتها ممالك السودان، نظراً لأهميته في حفظ الطعام والتوازن الغذائي. وقد جاءت كميات كبيرة منه من مناجم "تغازة" بالصحراء الكبرى، وكان يباع أحياناً بوزن الذهب (الإدريسي، 2002).
2. المنسوجات: اشتهرت مدن المغرب والأندلس بصناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية. وقد لاقت هذه السلع رواجاً في أسواق السودان، حيث كانت علامة على المكانة الاجتماعية.
3. السلع المعدنية: مثل النحاس والحديد والأسلحة البسيطة، وكانت مطلوبة بشدة في ممالك السودان لأغراض عسكرية وزراعية (حجي، 1982).
4. المؤن الغذائية: كالتمر والزيتون وبعض الحبوب، وقد صدرت بكميات محدودة لسد احتياجات المناطق التي لم تكن تعتمد على الزراعة الكثيفة.

ثالثاً: مراكز الأسواق الرئيسة

كانت مراكز الأسواق بمثابة عقد محورية في شبكة التبادل التجاري بين المرابطين والسودان الغربي:

1. **أودغست:** مدينة تجارية مهمة تقع على تخوم الصحراء، وكانت ملتقى القوافل القادمة من سجلماسة والمتجهة نحو غانة. لعبت دور الوسيط بين التجار المغاربة والسودانيين (البكري، 1992).
2. **غانة:** عاصمة مملكة غانة ومركز تجاري عالمي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حيث كان الذهب يتدفق منها بكميات ضخمة. وقد وصفها الجغرافيون بأنها مدينة ذات سوق مزدهر يجتمع فيه المسلمون والوثنيون على حد سواء (Levtzion, 1973).
3. **سجلماسة:** مدينة مغربية صحراوية نشأت في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وتحوّلت في عهد المرابطين إلى مركز مالي وتجاري مهم لتصدير السلع واستقبال الذهب (ابن الأثير، 1997).

رابعاً: آليات ضبط الأسواق والتبادل التجاري

لم تكن العلاقات التجارية بين المرابطين والسودان عشوائية، بل خضعت لأنظمة دقيقة:

1. **نظام الضرائب:** فرض المرابطون ضرائب على القوافل العابرة مقابل حمايتها، فيما فرض ملوك غانة رسوماً على دخول وخروج الذهب من أراضيهم (ابن خلدون، 2000).
2. **المبادلة (المقايضة):** في كثير من الأحيان، جرت المبادلات التجارية بطريقة "التبادل الصامت"، خصوصاً في تجارة الذهب، حيث كان السودانيون يضعون الذهب في أماكن محددة ثم يبتعدون، ليأتي التجار المغاربة ويضعوا مقابلها سلعاً كالملح والمنسوجات، فإذا رضي الطرفان تمت الصفقة (Davidson, 1991).
3. **دور الوسطاء:** لعب الوسطاء من قبائل صنهاجة دوراً مهماً في تنظيم عمليات التبادل، إذ كانوا يضمنون الأمن ويوفرون الترجمة بين التجار مختلفي اللغة.

خامساً: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لهذه المبادلات

لم تقتصر تجارة المرابطين والسودان الغربي على التبادل المادي للسلع، بل كانت لها انعكاسات أوسع:

1. **اقتصادياً:** أسهمت في تمويل الدولة المرابطية وإمدادها بالذهب اللازم لقوتها العسكرية والسياسية.
2. **اجتماعياً:** ساعدت على خلق طبقة تجارية جديدة في كلا الجانبين، ما عزز من الحركة الاجتماعية.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

3. **ثقافياً:** ساعدت الأسواق الكبرى في أن تكون مراكز للقاء العلماء والفقهاء، وهو ما مهد لانتشار الإسلام والثقافة العربية في السودان الغربي.

لقد تميزت العلاقات التجارية بين المرابطين والسودان الغربي بتكامل واضح في السلع: الذهب والرقيق والعاج من الجنوب، مقابل الملح والمنسوجات والسلع المعدنية من الشمال. وقد نظمت هذه المبادلات عبر أسواق كبرى وطرق تجارية محمية، مما جعلها أساساً للازدهار الاقتصادي والسياسي والحضاري للطرفين.

الفصل الثالث: التنظيم التجاري ودور الوسطاء

أولاً: القوافل التجارية عبر الصحراء

كانت القوافل التجارية هي العمود الفقري لحركة التبادل بين دولة المرابطين وممالك السودان الغربي. فقد تشكلت هذه القوافل من مئات الجمال المحملة بالسلع، إضافة إلى الحرفيين والخدم والحراس. وقد أطلق المؤرخون على هذه القوافل صفة "المسالك الصحراوية" نظراً لأهميتها في نقل البضائع والذهب والرقيق (البكري، 1992).

اعتمدت القوافل على خبرة أدلاء محليين يعرفون مسالك الصحراء والآبار، حيث كانت معرفة مواقع المياه عاملاً أساسياً في نجاح الرحلة. وغالباً ما كانت القافلة تحتاج إلى ما بين 40 إلى 60 يوماً لعبور الصحراء من سجلماسة إلى أودغست أو غانة (ابن خلدون، 2000).

ثانياً: دور القبائل الصحراوية

لعبت القبائل الصحراوية، وخاصة قبائل صنهاجة، دوراً رئيساً في تنظيم التجارة. فقد كانت تتحكم في الممرات الصحراوية، وتفرض رسوماً على القوافل المارة. ومع ظهور دولة المرابطين، جرى توحيد هذه القبائل تحت سلطة سياسية مركزية، مما ساعد على ضبط الأمن وتسهيل حركة التجارة (الدوري، 2008).

كما قدمت هذه القبائل خدمات متنوعة للتجار، مثل توفير الجمال، وإرشاد الطرق، وتقديم الحماية من اللصوص. وفي كثير من الأحيان، كان أبناء القبائل أنفسهم شركاء في التجارة، يبيعون منتجات محلية مثل الجلود والصوف.

ثالثاً: الوسطاء والتجار المسلمون

تزايد دور التجار المسلمين في غرب إفريقيا مع توسع نفوذ المرابطين، حيث لعبوا دور الوسطاء بين المغرب وممالك السودان الغربي. وتميز هؤلاء التجار بأنهم لم يقتصروا على النشاط الاقتصادي، بل كانوا أيضاً دعاة للإسلام، نشروا تعاليمه بين السكان المحليين (Hopkins, 2000 & Levtzion). وقد أسهم التجار في إدخال اللغة العربية كلغة تعامل في الأسواق، كما ساعدوا في نشر الثقافة الإسلامية، مما جعل التجارة وسيلة للتقارب الحضاري والديني.

رابعاً: حماية القوافل التجارية

حرص المرابطون على توفير الحماية للقوافل التجارية باعتبارها مصدراً رئيساً لثراء الدولة. ولهذا أنشأوا نقاطاً عسكرية على الطرق الرئيسة، ووفروا حاميات عسكرية في المدن التجارية الكبرى مثل سجلماسة وأودغست (ابن خلدون، 2000). كما أن الملوك في السودان الغربي –وخاصة ملوك غانة– كانوا يحرصون على توفير الأمن داخل حدودهم، نظراً لاعتمادهم على عوائد الضرائب المفروضة على التجارة. وهذا التعاون بين الطرفين جعل الطرق التجارية أكثر أماناً مقارنة بمناطق أخرى في العالم الإسلامي.

خامساً: النظام الضريبي والرسوم

كان النظام الضريبي أحد الآليات الرئيسة لتنظيم التجارة:

1. **في المغرب:** فرض المرابطون "العشور" على السلع المصدرة والمستوردة، وكانت تُجبى في المراكز التجارية الرئيسة (حجي، 1982).
2. **في السودان الغربي:** فرض ملوك غانة رسوماً على الذهب الخارج من أراضيهم، في حين احتفظوا بالذهب الخام لأنفسهم، ولم يسمحوا إلا بتصدير الغبار الذهبي (ابن الأثير، 1997).

سادساً: آليات التبادل التجاري

إلى جانب المقايضة والتبادل الصامت، ظهرت آليات أخرى لتنظيم التجارة، مثل:

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

1. **المكاييل والموازين:** حيث اعتمد التجار على وحدات وزن دقيقة لضبط عمليات بيع الذهب والملح (الإدريسي، 2002).
2. **الوكالات التجارية:** بعض التجار كانوا يوكلون وكلاء لهم في الأسواق البعيدة لضمان استمرار البيع والشراء.
3. **العقود الشرعية:** مع انتشار الإسلام، أصبح التجار يعقدون صفقاتهم وفق قواعد الفقه الإسلامي، وهو ما عزز الثقة بينهم.

سابعاً: الأسواق كمراكز حضارية

لم تكن الأسواق مجرد فضاءات اقتصادية، بل كانت أيضاً مراكز حضارية مهمة. ففي تمبكتو مثلاً، اجتمع التجار والعلماء، وتبادلوا إلى جانب السلع الكتب والمخطوطات. كما أصبحت الأسواق منصات للتواصل الثقافي، حيث انتشرت الفنون والعادات بين شعوب الشمال والجنوب (Hunwick, 2003).

ثامناً: التحديات الأمنية والتنظيمية

على الرغم من الجهود المرابطية، واجهت التجارة تحديات مثل: هجمات بعض القبائل المتمردة، والمخاطر الطبيعية كالعواصف الرملية ونقص المياه، وصعوبات التنقل لمسافات طويلة (Davidson, 1991). ومع ذلك، ظل النظام التجاري المرابطي من أكثر الأنظمة استقراراً في غرب إفريقيا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

الفصل الرابع: أثر العلاقات التجارية في التطور الحضاري والسياسي

أولاً: الأثر الاقتصادي في رخاء دولة المرابطين

كانت التجارة عبر الصحراء مصدراً رئيساً لثراء دولة المرابطين. فقد مكّنتهم السيطرة على طرق القوافل من الحصول على الذهب السوداني الذي أصبح قاعدة مالية قوية لسك الدنانير المرابطية، التي وجدت رواجاً في أسواق الأندلس والمشرق (ابن خلدون، 2000). وقد ساعدت عوائد التجارة أيضاً على تمويل الحملات العسكرية، وأسهمت في تنشيط المدن المغربية مثل مراكش وسجلماسة، حيث ظهرت طبقة تجارية مزدهرة (حجي، 1982).

ثانياً: الأثر الاقتصادي في ممالك السودان الغربي

استفادت ممالك السودان الغربي من التجارة عبر تحصيل الرسوم وتصدير الذهب والعبيد، مما وفر موارد مالية ضخمة مكنت الملوك من تعزيز قوتهم العسكرية (Levtzion, 1973). كما تحولت الأسواق الكبرى مثل أودغست وتمبكتو إلى مراكز اقتصادية عالمية استقطبت التجار من مختلف المناطق.

ثالثاً: الأثر الثقافي والحضاري

1. **انتشار الإسلام:** أسهمت التجارة بشكل مباشر في نشر الإسلام، حيث حمل التجار المسلمون تعاليم الدين واللغة العربية (الإدريسي، 2002).
2. **انتشار اللغة العربية:** أصبحت العربية لغة التعامل التجاري والإداري، مما ساعد على نشوء نخبة متعلمة (Hunwick, 2003).
3. **التبادل الثقافي والفكري:** شملت حركة القوافل انتقال الكتب والعلماء، مما أدى لإدخال الفقه المالكي الذي أصبح المذهب السائد هناك (ابن الأثير، 1997).

رابعاً: الأثر السياسي

1. **في دولة المرابطين:** مكّنت العوائد المالية من ترسيخ سلطة الدولة وبسط سيطرتها على القبائل الصحراوية. كما عززت مكانة المرابطين في العالم الإسلامي باعتبارهم دولة قوية اقتصاديًا وسياسيًا (ابن خلدون، 2000).
2. **في ممالك السودان الغربي:** أسهمت التجارة في تعزيز نفوذ ملوك غانة سياسياً، وأكسبتهم التحالفات مع التجار المسلمين شرعية دينية إضافية (Davidson, 1991).
3. **في العلاقات بين الطرفين:** ساهمت التجارة في خلق نوع من التوازن السياسي، إذ لم تكن العلاقة قائمة على السيطرة العسكرية فحسب، بل على المصالح الاقتصادية المشتركة التي ضمنت استمرار التواصل السلمي بين المرابطين وممالك السودان.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

خامساً: أثر العلاقات التجارية في التوازنات الإقليمية والدولية

أصبحت منطقة الصحراء الكبرى إحدى أهم مناطق العالم الإسلامي اقتصادياً؛ إذ دعم الذهب السوداني اقتصادات المغرب والأندلس ووصل لأسواق أوروبا (Curtin, 1984). كما أن قوة المرابطين التجارية جعلتهم قادرين على مجابهة القوى الإقليمية، وفي المقابل، عززت مكانة السودان الغربي كمصدر عالمي للذهب.

سادساً: البعد الاجتماعي

أدت التجارة إلى نشوء طبقات اجتماعية جديدة، منها طبقة التجار ذات النفوذ، وطبقة العلماء، وطبقة العمال والعبيد الذين أسهموا في دعم الاقتصاد. وقد أسهم هذا الحراك في تعزيز الاندماج بين شعوب الصحراء والسودان والمغرب.

تجاوز أثر العلاقات التجارية الجانب الاقتصادي إلى جوانب حضارية وسياسية عميقة؛ حيث أسهمت في تمويل الدولتين، ونشر الإسلام، وجعل الصحراء فضاءً للتواصل والاندماج.

الفصل الخامس: التحديات التي واجهت العلاقات التجارية بين المرابطين وممالك السودان الغربي

أولاً: العوائق الطبيعية والجغرافية

لقد شكلت البيئة الطبيعية للصحراء الكبرى أبرز التحديات أمام التجارة بين المغرب والسودان الغربي. فالمسافة الشاسعة، التي تمتد آلاف الكيلومترات، كانت تتخللها مناطق قاحلة وواحات متباعدة، مما جعل الرحلة محفوفة بالمخاطر (ابن خلدون، 2000).

وكانت العواصف الرملية وانعدام المياه في كثير من المحطات يشكلان خطراً كبيراً على القوافل، حيث تعرضت أحياناً للهلاك أو الفقدان. ومن ثمّ، كانت التجارة الصحراوية تحتاج إلى تنظيم محكم وتجهيزات خاصة، مثل الاعتماد على الجمال وحفظ المياه والمؤن في أوعية كبيرة (الإدريسي، 2002).

ثانياً: الأخطار الأمنية

إلى جانب الطبيعة القاسية، واجهت التجارة تهديدات أمنية من قطّاع الطرق والقبائل المتمردة التي كانت تتربص بالقوافل. فالصحراء الكبرى لم تكن كلها تحت السيطرة المرابطية، بل كانت تسكنها قبائل متعددة، بعضها لم يكن على وفاق مع المرابطين (ابن الأثير، 1997).

وقد أدى ذلك إلى أن ينظم المرابطون قوافلهم في مجموعات كبيرة ترافقها حراسات مسلحة. كما فرضوا سيطرة عسكرية على بعض المسالك، مثل طريق سجلماسة–أودغست، لضمان انسياب حركة التجارة (حجي، 1982).

ثالثاً: المنافسة التجارية

لم تكن العلاقات التجارية بين المرابطين والسودان الغربي تسير في معزل عن قوى إقليمية أخرى. فقد دخلت بعض القوى المنافسة مثل القبائل البربرية المستقلة، وأحياناً القوى المسيحية عبر البحر المتوسط، على خط التنافس في تجارة الذهب والعبيد (Levtzion, 1973). وكانت هذه المنافسة تفرض على المرابطين جهوداً مستمرة للحفاظ على احتكارهم للمسالك التجارية، خاصة تلك التي تصل إلى أسواق الأندلس.

رابعاً: التحديات السياسية

1. **داخل دولة المرابطين:** شهدت الدولة صراعات سياسية داخلية بين القبائل المختلفة، ولا سيما بين صنهاجة وزناتة. هذه الصراعات كانت تهدد أحياناً استقرار الدولة وبالتالي استقرار طرق التجارة (ابن خلدون، 2000).
2. **في ممالك السودان الغربي:** لم تكن ممالك السودان مستقرة دائماً، فقد واجهت غانة على سبيل المثال حروباً قبلية داخلية وضغوطاً من قبائل مجاورة. كما أدى توسع نفوذ المرابطين أحياناً إلى توتر العلاقة بين الطرفين (Davidson, 1991).
3. **بين المرابطين وممالك السودان:** رغم التعاون التجاري، فقد كان هناك جانب من التنافس السياسي، خاصة حين حاول المرابطون التأثير على الممالك الجنوبية عسكرياً أو دينياً، مما خلق حالة من التوجس أحياناً.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

خامساً: التحديات الاقتصادية

أثّرت تقلبات العرض والطلب على استقرار التجارة؛ فعندما يزداد استخراج الذهب في السودان تنخفض قيمته نسبياً في الأسواق، مما يؤدي إلى اضطرابات اقتصادية. وفي المقابل، كانت فترات الجفاف أو الاضطرابات تؤدي إلى انقطاع القوافل وتراجع حركة المبادلات (Curtin, 1984). كما كان العبيد يُعدّون سلعة ذات حساسية خاصة، إذ ارتبطت تجارتهم بعوامل سياسية واجتماعية قد تُفجر النزاعات.

سادساً: التحديات الثقافية والدينية

رغم أن التجارة ساعدت في نشر الإسلام، إلا أن بعض الممالك الأفريقية قاومت النفوذ الديني والسياسي للمرابطين. فقد كان ملوك غانة مثلاً حريصين على الاحتفاظ ببعض تقاليدهم المحلية، مما خلق أحياناً توتراً بين التجار المسلمين والسلطات المحلية (Hunwick, 2003). كما أن الاختلافات الثقافية بين سكان الصحراء والسودان شكلت عائقاً في بداية الأمر، قبل أن تذوب تدريجياً بفعل التفاعل التجاري والثقافي.

سابعاً: التحديات الدولية

لم تكن تجارة المرابطين والسودان بمعزل عن الاهتمام الدولي، إذ حاولت بعض القوى الأوروبية الناشئة التغلغل عبر سواحل الأطلسي للوصول إلى الذهب مباشرة. ورغم أن هذه المحاولات كانت محدودة في العصر المرابطي، فإنها أشارت إلى مستقبل تنافسي شديد ستشهده المنطقة لاحقاً (Fage, 1969).

ثامناً: انعكاسات التحديات على استمرارية العلاقات

رغم كل هذه التحديات، فإن العلاقات التجارية بين المرابطين وممالك السودان الغربي لم تنقطع، بل تكيفت مع الظروف. فقد طور المرابطون نظاماً محكماً لتنظيم القوافل، وأقاموا تحالفات سياسية مع بعض الممالك الأفريقية لتأمين طرق التجارة. كما ساعد العامل الديني في تخفيف حدة التوترات، إذ وفر الإسلام أرضية مشتركة للتعاون (ابن خلدون، 2000).

لقد واجهت التجارة عبر الصحراء بين المرابطين والسودان الغربي جملة من التحديات الطبيعية والأمنية والسياسية والاقتصادية والثقافية. ومع ذلك، فقد استطاع الطرفان تجاوز هذه العقبات بفضل المصالح المشتركة والتنظيم الجيد للقوافل، مما جعل هذه العلاقات نموذجاً للتفاعل الحضاري والاقتصادي في العصور الوسطى.

الفصل السادس: النظم المالية والتشريعات المنظمة للتجارة الصحراوية

أولاً: أثر الفقه المالكي في تنظيم المعاملات التجارية

لم تكن التجارة العابرة للصحراء بين دولة المرابطين وممالك السودان الغربي مجرد تبادل سلع بسيط، بل كانت نشاطاً مؤسسياً محكوماً بإطار تشريعي صارم وفرته نصوص الفقه المالكي. لقد أسهم اعتناق الطرفين لهذا المذهب في إيجاد "قانون تجاري موحد" عابر للحدود الجغرافية؛ حيث التزم التجار بأحكام "عقد الشركة" و"المضاربة" لتفتيت المخاطر المالية المرتبطة بالرحلات الطويلة التي قد تستغرق شهوراً (ابن خلدون، 2000) .وعلاوة على ذلك، برز دور "الفقيه التاجر" الذي لم يكن يكتفي بالبيع والشراء، بل كان مرجعاً في "فقه البيوع"، مما ساهم في تقليص النزاعات حول جودة السلع أو شروط التسليم. وقد لعب الفقهاء المقيمون في المراكز التجارية الكبرى دور قضاة الأسواق (المحتسبين)، فكانوا يراقبون صحة العقود ويمنعون الغش والاحتكار، مما خلق بيئة استثمارية آمنة شجعت رؤوس الأموال من الأندلس والمغرب على التدفق نحو أسواق غانة وأودغست.(Hunwick, 2003)

ثانياً: النظام النقدي والدينار المرابطي كعملة عالمية

أحدث الدينار المرابطي تحولاً جذرياً في الهيكلية المالية للعصور الوسطى، حيث كان "الدينار الذهبي" الأداة الرئيسة التي ربطت اقتصاد الغرب الإسلامي بالنظام المالي العالمي. وبفضل السيطرة المرابطية على مناجم الذهب في السودان الغربي، تمكنت الدولة من سك عملة ذات نقاوة عالية جداً، مما جعلها "العملة الاحتياطية" في حوض البحر المتوسط (حجي، 1982) .وفرضت السلطة المرابطية رقابة فنية صارمة على "دور السكة" في سجلماسة وتاودني، لضمان معايير الوزن والعيار (الدوري، 2008). هذا الاستقرار النقدي لم يخدم التجار فحسب، بل مكن الدولة المرابطية من إدارة ميزانيات جيوشها الضخمة وتمويل

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مشاريعها العمرانية. وفي السودان الغربي، أدى قبول الدينار المرابطي في المعاملات الكبرى إلى تقليل الاعتماد على المقايضة التقليدية، مما مهد الطريق لظهور اقتصاد نقدي متطور في الممالك الإفريقية.

ثالثاً: الدبلوماسية التجارية وتأمين المسالك

استند ازدهار التجارة الصحراوية إلى نظام معقد من الدبلوماسية الوقائية والاتفاقيات القبلية. فقد أبرم المرابطون معاهدات استراتيجية مع قبائل "مسوفة" و"لمتونة" التي كانت تسيطر على نقاط المياه والممرات الوعرة، مقابل منحهم حصة من العوائد الجمركية أو إعفاءات ضريبية معينة (البكري، 1992) .وعلى المستوى السياسي الأعلى، كانت هناك "بروتوكولات" غير مكتوبة بين أمراء المرابطين وملوك غانة، تضمن توفير الحماية الشخصية للقوافل وحرمة أموال التجار الأجانب. هذه الدبلوماسية التجارية أدت إلى ظهور "دار الضيافة" أو "الفنادق" التجارية التي كانت توفر السكن والأمن للتجار، مما يعكس نضج المفاهيم الإدارية في تنظيم العلاقات الدولية التجارية في ذلك العصر.(Levtzion, 1973)

رابعاً: النظم الجمركية وأساليب الجباية

تطورت في عهد المرابطين نظم جمركية دقيقة اعتمدت على "المراكز الحدودية" لتنظيم حركة البضائع وتحصيل الإيرادات. وكانت "الأعشار" تُجبى في سجلماسة باعتبارها بوابة الصحراء الشمالية، بينما طورت مملكة غانة نظاماً ضريبياً مزدوجاً؛ حيث يُدفع دينار ذهبي واحد على كل حمل حمار من الملح يدخل البلاد، ودينار ان على كل حمل يخرج منها (البكري، 1992) .ومن الناحية الاقتصادية الكلية، اتخذ ملوك السودان الغربي إجراءات حمائية لضمان استقرار قيمة الذهب؛ فكانت السبائك الكبيرة (الخالص) ملكاً حصرياً للملك، بينما يُترك "التبر" (غبار الذهب) للتداول العام بين التجار، وذلك لمنع إغراق السوق بالذهب وبالتالي الحفاظ على قوته الشرائية ومنع التضخم (ابن الأثير، 1997). هذه السياسة النقدية المتقدمة تؤكد أن الإدارة المالية كانت تعتمد على فهم عميق لآليات العرض والطلب.

خامساً: الوكالات التجارية والخدمات اللوجستية

مع اتساع رقعة النشاط التجاري، ظهرت مؤسسات وسيطة تشبه "الوكالات التجارية" الحديثة. فكان كبار التجار في مراكش أو فاس يعينون "وكلاء مقيمين" في أودغست وتمبكتو لمتابعة تقلبات الأسعار وتخزين السلع في "مخازن آمنة" بانتظار موسم الطلب المرتفع .(Curtin, 1984) كما نشأت صناعة لوجستية متكاملة شملت: "الخريت" (الدليل الماهر) الذي كان يمتلك معرفة عميقة بالنجوم ومواقع الآبار، و"المكارين" المتخصصين في تأجير وصيانة الإبل، بالإضافة إلى المترجمين الذين كانوا يسهلون التواصل بين العرب والبربر والقبائل الإفريقية .(Davidson, 1991) هذا التخصص الوظيفي حول التجارة الصحراوية من مغامرة فردية إلى قطاع اقتصادي منظم يعتمد على تكامل الخدمات اللوجستية والمالية.

لقد شكلت هذه النظم المالية والتشريعية البنية التحتية التي سمحت للعلاقات التجارية بين المرابطين والسودان الغربي بالاستمرار والازدهار لأكثر من قرن من الزمان، مما جعلها نموذجاً فريداً للتنظيم الاقتصادي في العصور الوسطى.

الخاتمة والاستشراف المستقبلي

بعد استعراض موضوع تطور العلاقات التجارية بين دولة المرابطين وممالك السودان الغربي، تبيّن أن هذه العلاقات لم تكن مجرد تبادل بسيط للسلع، بل كانت ركيزة أساسية في بناء توازنات اقتصادية وسياسية وثقافية امتدت آثارها إلى المغرب والأندلس والسودان الغربي على حد سواء. لقد شكّل الذهب القادم من السودان الغربي عصب الاقتصاد المرابطي، ومصدر قوته العسكرية والسياسية، في حين مثّلت المنتجات المغاربية من ملح ونحاس ومواد مصنوعة عنصراً ضرورياً لاقتصاديات السودان. وكانت القوافل التجارية، التي عبرت الصحراء الكبرى، الجسر الذي نقل البضائع والأفكار والعقائد والثقافات، مما أثبت أن الصحراء لم تكن حاجزاً، بل فضاءً للتواصل الحضاري.

كما أن هذه العلاقات لم تخلُ من تحديات جسام، سواء كانت طبيعية، أو أمنية، أو سياسية، غير أن الطرفين استطاعا تجاوزها من خلال المصالح الاقتصادية المشتركة، والدين الإسلامي الذي وفر أرضية صلبة للتقارب والاندماج.

خاتمة استشرافية: من إرث المرابطين إلى آفاق التكامل المعاصر

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

إن استقراء تاريخ هذه العلاقات لا ينبغي أن يقف عند حدود التوثيق التاريخي، بل يجب أن يمتد ليشكل رؤية استشرافية لمستقبل الجغرافيا السياسية والاقتصادية في المنطقة. فالتجربة المرابطية أثبتت أن الصحراء الكبرى قادرة على التحول إلى "مجال حيوي" للاندماج إذا ما توفرت الإرادة السياسية والنظم التشريعية الموحدة. وفي هذا السياق، يمكن استشراف الآفاق التالية:

1. **إحياء "المحور الصحراوي" كمجال تنموي :**إن نجاح المرابطين في ربط سجلماسة بتمبكتو وأودغست يضع حجر الأساس لمشاريع الربط القاري المعاصرة (مثل الطريق السيار العابر للصحراء وخطوط أنابيب الغاز). الاستشراف المستقبلي يشير إلى أن أمن واستقرار منطقة الساحل والصحراء يكمن في استعادة دورها كـ "منطقة تجارة حرة" تربط بين إفريقيا جنوب الصحراء وحوض البحر المتوسط.
2. **الدبلوماسية الروحية والثقافية :**يظل المذهب المالكي والإرث اللغوي العربي، اللذان انتقلا عبر القوافل، هما القوة الناعمة الأكثر استدامة. استشرافاً للمستقبل، يمكن لهذا الإرث المشترك أن يشكل حصناً فكرياً ضد تيارات التطرف، وأداة لتعزيز "الدبلوماسية الروحية" بين دول المغرب العربي وغرب إفريقيا، بما يخدم السلم والأمن الإقليميين.
3. **نحو "عولمة إقليمية" متوازنة :**إن نموذج "الاعتماد المتبادل" التاريخي يقدم درساً في التكامل الاقتصادي الذي يتجاوز مفهوم التبعية. الاستشراف المستقبلي يدعو إلى بناء تكتل اقتصادي إفريقي يستلهم من التجارة المرابطية قدرتها على خلق توازن في المصالح، مما يحمي المنطقة من تقلبات الاقتصاد العالمي ويحافظ على سيادة مواردها.

ختاماً، إن العلاقات المرابطية-السودانية لم تكن مجرد فصل في كتاب التاريخ، بل هي "خارطة طريق" للمستقبل. وإن إعادة قراءتها بمنهج استشرافي تؤكد أن قدر هذه المنطقة هو التكامل، وأن مفاتيح النهضة الاقتصادية المعاصرة لغرب إفريقيا والمغرب العربي لا تزال كامنة في تلك المسالك القديمة، التي تنتظر بعثاً جديداً برؤية حديثة تواكب تحديات القرن الحادي والعشرين.

التوصيات

1. **توسيع الدراسات المقارنة:** ضرورة القيام بدراسات مقارنة بين تجربة المرابطين في تنظيم التجارة الصحراوية وتجارب دول لاحقة مثل الموحدين والسعديين؛ لفهم تطور أنماط التجارة عبر العصور.
2. **الاستفادة من المصادر الأثرية:** الاعتماد بشكل أكبر على نتائج التنقيبات الأثرية في مراكز مثل سجلماسة وتمبكتو؛ لتعزيز وتوثيق ما ورد في المصادر التاريخية المكتوبة.
3. **إعادة قراءة العلاقات التجارية بمنهج متعدد التخصصات:** إشراك علوم الاقتصاد والجغرافيا والأنثروبولوجيا في دراسة تاريخ العلاقات التجارية لإعطاء صورة أكثر شمولاً ودقة.
4. **تسليط الضوء على الدور الثقافي:** الاهتمام بدراسة أثر هذه التجارة في نشر العلوم واللغة العربية والفقه المالكي في السودان الغربي بشكل أكثر تفصيلاً.
5. **الحفاظ على الإرث المشترك:** توجيه الجهود الأكاديمية لإبراز أهمية هذا التراث التجاري والثقافي في تعزيز قيم التعاون المعاصر بين دول المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء.

قائمة المراجع

[1] ابن الأثير، عز الدين. (1997). الكامل في التاريخ. دار الكتب العلمية.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن. (2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون). دار الفكر.

[3] الإدريسي، الشريف. (2002). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية.

[4] البكري، أبو عبيد. (1992). المسالك والممالك. دار الغرب الإسلامي.

[5] حجي، محمد. (1982). الحياة الاقتصادية في المغرب الأقصى في عصر المرابطين. دار الثقافة.

[6] الدوري، عبد العزيز. (2008). مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي. دار الوحدة.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

[7] Curtin, P. D .(1984) .Cross-cultural trade in world history .Cambridge University Press.

[8] Davidson, B .(1991) .Africa in history: Themes and outlines .Simon & Schuster.

[9] Fage, J. D .(1969) .A history of West Africa: An introductory survey .Cambridge University Press.

[10] Fisher, H. J .(2001) .Slavery in the history of Muslim Black Africa .New York University Press.

[11] Hunwick, J. O .(2003) .Timbuktu and the Songhay Empire: Al-Sa'di's Ta'rikh al-Sudan down to 1613 .Brill.

[12] Levtzion, N .(1973) .Ancient Ghana and Mali .Methuen.

[13] Levtzion, N & ,.Hopkins, J. F. (Eds.) .(2000) .Corpus of early Arabic sources for West African history .Marcus Weiner Publishers.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **AJHAS** and/or the editor(s). **AJHAS** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).